متلازمة العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية في بعث الحضارة عند مالك بن نبي

Syndrome Of Religious Belief And Moral Value In The Revival Of Civilization According To Malik Bin Nabi

عبد العزيز حياة [1]*

جامعة الجزائر 3 (الجزائر)

hayatabdelaziz9@gmail.com

أ.د/ نايت عبد الكريم عبد الرحمن[2]

جامعة الجزائر 3 (الجزائر)

Abderahmannne.nait@univ-alger3.dz

تاريخ الارسال: 2022/02/20 تاريخ القبول: 2022/12/08 تاريخ النشر: 2023/06/04

ملخص: *تعتبر الفكرة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية عند مالك ابن نبي أحد المحاور الرئيسة في قيام أي حضارة وفق الصيرورة التاريخية، فهما يساهمان في بناءها وتطورها ثم بقائها،ويحفظانها من الوقوع في مثلث الزيغ الانحراف والانهيار.*

*تنشط دعامتي الفكرة الدينية والقيم الأخلاقية في الكينونة المجتمعية الواعية،بحيث تسعيا إلى صناعة الإنسان المستقبليّ أو ما يسمّيه ابن نبي" **الإنسان الجديد** "،وإضافة لها عنصر الفاعلية للنهوض من واقع الجمود واقع الحركة والعمل،إن هده العناصر مجتمعة هي التي تؤدي إلى النجاحات والتطور على الصعيد السياسي والاجتماعي، وهو انعكاس للواقع الحضاري.*

الكلمات المفتاحية: *العقيدة الدينية، القيم الأخلاقية الإسلامية، السياسة، الإنسان.*

Abstract*: The ethical and religious ideas of Islam according to Malik Ibn Nabi are some of the most essential foundations for any civilization. The Islamic values and religious concepts help build societies and develop civility, in essence keeping the civilization from crumbling. Not only can Islam be used for the foundations of society, but it can also be used individually as an individual , according to Ibn Nabi's "New person". This is the guidance of mind, soul, and spirit to help balance the forces These principles help build societal success and develop on every level, political, economical, social, cultural as it shows an advanced society*

key words:*Religion belief ;Islamique moral value; Politics ; Humains.*

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعتبر مالك بن نبي صاحب تصور ومنظور ورسالة فكرية متميزة في جميع مجالات الحياة،إذ انشغل بمشكلة أمته الحضارية،وانصب فكره ليس فقط حول تشخيص الهموم والأمراض،فالإشكالات والعوارض التي تنخر في جسم أمته الصغيرة أو الكبيرة،بل قدم حلول نظرية وعملية وواقعية غير مسبوقة.

وضع مالك ابن نبي،مقاربة قائمة على أسس منهجية وتربوية للوصول إلى ميلاد الحضارة الحقيقية،المتأصلة في مرجعيتها والمتفتحة على الحضارات الأخرى،لكن في إطار من التبادل الإيجابي والفعال ودون انصهار أو انسلاخ عن الهوية والمرجعية الإسلامية، ولا يتحقق هذا إلا بالاستثمار في العنصر الإنساني وفق مبدأ القيمي الأخلاقي،أي عن طريق غرس ثقافة الإبداع والتفكير الأصيل ومحاربة الأفكار الميتة -وهي تعبر عن أفكار من نتاج الإرث الاجتماعي، وتولد القابلية للاستعمار- والأفكار المميتة- وهي تعبر عن تلك الأفكار المستعارة من الغرب وتولد كذلك القابلية للاستعمار- والرجوع إلى الدين الإسلامي الحنيف والتشبع بأخلاقه السمحة؛ ويطرح ابن نبي البعد الإسلامي ليس كمجرد كتاب يقرأ للممارسة الشعائر التعبدية أو للتحصين العقائدي فقط، وإنما لتجسيد مبادئه على أرض الواقع أي من خلال تطبيق قاعدة إقرأ - إفهم- طبق .

يهدف هدا المقال إلى توضيح هدفين أساسيين:

1- توضيح رؤية مالك بن نبي،والتي تنصب حول الدور الكبير الذي تلعبه العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية في إيقاظ الحضارة الحية،على اعتبار الحضارة كيان خاص بكل أمة من الأمم،إلا أنها تشترك في بعض العناصر الأساسية المتمثلة في مركب العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية .

2- إظهار الفاعل الأساسي المغيب في الأزمة التي تمر بها الجزائر،وإن كانت في طبيعتها أزمة سياسية اقتصادية، إلا أنها أزمة أخلاقية في جوهرها .

وتحت هدا الإطار يتبادر إلى الذهن التساؤلات الآتية :

- ما هو الدور الذي تلعبه العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية في إيقاظ شعلة الحضارة الحية ؟ .

- ماذا لو توفرت الدعامتان لدى أمة ما, هل تنتج الحضارة ألليا ؟

-كيف ربط مالك بن نبي العمل السياسي بالعقيدة الدينية والقيم الأخلاقية؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات،ارتأينا تخصيص الفرضية التي مفادها الرابطة الإيجابية التي تجمع متلازمة العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية في إيقاظ شعلة الحضارة الحية، ولتوضيح هده الرؤية ارتأينا وضع الخطة الرئيسة على النحو التالي :

1- محورية مركب العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية عند مالك بن نبي.

2- الرؤية الموضوعية للحضارة عند مالك بن نبي .

3- دور العقيدة الدينية- القيم الأخلاقية الإسلامية في العمل السياسي.

أما فيما يخص المناهج المستخدمة،فقد استدعت إشكالية البحث إلى توظيف كل من المنهج التاريخي،كخطوة أولى باعتبار الظاهرة المدروسة،هي ظاهرة تاريخية،اجتماعية والتي تساعدنا على استرداد الوقائع والأحداث الماضية [1] (عبيدات،و آخرون ، 1999،ص50)،والمنهج الاستقرائي كخطوة ثانية للتعرف على الجزئيات للوصول إلى الكليات [2] (لارامي،2004،ص38) والكشف عن المتغيرات ذات العلاقة بموضوع الدراسة مثل:العقيدة الدينية،القيم الأخلاقية الإسلامية،الإنسان والسياسة للوصول إلى فهم عمق الحضارة .

2. محورية مركب العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية عند مالك بن نبي

في هده الجزئية،نحاول أن نبين الأهمية الكبيرة التي أولاها مالك بن نبي للعقيد الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية،والتي يتأسس من خلالهما الوسط الملائم والمهيأ لانطلاقة الإرادة الحضارية.

أكد مالك ابن نبي في مختلف كتاباته على مركزية العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية باعتبارهما عنصرين مرتبطان ارتباطا عضويا يبعضهما البعض،فالدين والأخلاق يمثلان الأدوات والحضارة منتجوهما (نقيب، 2015، ص273) .

العقيدة الدينية،هي في الحقيقة سنة كونية وتاريخية،وقانون من قوانين الله عز وجل فطر النفس البشرية عليها،فاتجاه الإنسان للتدين يعتبر فعل فطري،يفسر على أنه قوة الدفع نحو العبادة وربط تلك العلاقة الروحية مع الخالق استنادا لقوله تعالى:"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله دلك الدين القيم ..... ولكن أكثر الناس لا يعلمون" ((سورة الروم الآية30))،والظاهر أن على مر الأزمنة المتوالية،لم يوجد شعب من الشعوب أو حضارة من الحضارات لم تبق بين أطلالها وثناياها بقايا أثار،خصصت لشعائرها الدينية أيا كانت هده الشعائر [5] (بن نبي،1984،ص69)،وهي مع ذلك لا يمكن اعتبارها منظومة للأفكار الغيبية،هدفها شغل الأفراد بالروحانيات فقط،بل هي رسالة لتحرر من براثن الجهل والمضي نحو التحضر .

فبفضل القيم والمبادئ العليا التي أتى بها القرآن الكريم،تحقق النموذج العملي بالفعل عبر التاريخ على حد قوله: "..... فالحضارة تظهر في صورة وحي،يهبط من السماء في شكل شرعة ومنهاجا، فالمبعث الديني،هو الذي يوجد الحضارات،مثلما أوجد الدين الإسلامي الحضارة الإسلامية والدين المسيحي الحضارة الغربية والحضارة البوذية (بن نبي،1986،ص51).

تعتبر العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية،الإطار المرجعي اللذان يحققان التناغم والانسجام للبنية النفسية والعقلية للإنسان،وينظمان طاقاته الحيوية،ويساعداه على تكوين الأنا الواعية فتتولد بذلك شبكة العلاقات الاجتماعية الناجحة،والتي تسمح بترابط الوصلات أو العوالم الثلاث (الأشخاص - الأفكار - الأشياء) فيما بينها،لتشكل كيان مجتمع منسجم وسليم، وعملا موحدا قوامه التفاهم والرغبة في المساعدة والإخاء والتعاون للوصول إلى إنجاح الأعمال المشتركة.

يهدف المجهود التربوي الأخلاقي،إلى تحويل الطاقة السلبية للفرد والمجتمع إلى الطاقة الإيجابية ورفعه من المستوى الوجود الطبيعي ومرحلة الجمود إلى مستوى الوجود الفعلي ومرحلة الحركة والنشاط (بن نبي،1986،ص28)، ومن تم توجيه فكرهما نحو غايتين:

1- **الغاية الأرضية** :وهي الغاية التي تبعث فيهما الرغبة إلى التغيير ثم التوجيه،لأنها تسمح بإعادة ترتيب الذات ودخائل النفوس،وإن احتاجت إلى التغيير الكلي فذاك هو المرغوب،ولهذا تصبح الذات الفردية والجماعية معا رافضة للدونية، وتستعيد الثقة وبالقدرات التي تملكها لتحقيق الإنجازات،وللوصول إلى أفق أعلى وفي الاتجاه السليم الذي يهدف إلى تحقيق" الإنسان المستقبلي"،أو ما يسمّيه ابن نبي الإنسان الجديد " (بوعرفة ، 2006 ، ص25)،وهو المقصد الحقيقي الذي تشير إليه الآية الكريمة "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (سورة الرعد الآية 11).

2- **الغاية الأخروية** : وهي الغاية التي تحمل الإنسان للتطلع إلى أفق أعلى،ويحدث هذا عندما تشتد الرابطة الروحية التي تربط الفرد والمجتمع ككل بالله،فكلما كانت الشبكة الاجتماعية حريصة على ربط الصلة بالله وبالعالم الأخروي،مصداقا لقوله تعالى"..... وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (سورة الدرايات الأية 59)،كلما أتاحت لأفراد المجتمع،بأن يضطلعوا ويوجهوا طاقتهم لأداء أعمالهم ومهامهم المنوطة بهم بغية الوصول إلى الدار الآخرة بأمان.

1-2 - تأثير البيئة المزدوجة في تقديم البديل الفكري عند مالك بن نبي .

نتناول في هذا المقطع، دور الدين والأخلاق المسيحية في تحديد معالم الحضارة الغربية في الفكر الغربي،ثم نعرج إلى الدور وتأثير المنطلقات الفكرية التي اكتسبها مالك بن نبي في بيئته المزدوجة العربية الإسلامية والغربية، والتي ساهمت إلى حد كبير في إنتاج فكرة ناضجة حول الحضارة.

تشير بعض الدراسات التاريخية والفلسفية على أن الدين والأخلاق المسيحية،يعتبران الروح التي أيقظت الحضارة الغربية،والتي تظهر من خلال كتابات مفكريها المؤيدين لدور المسيحية، والبعد الأخلاقي في الصيرورة التاريخية للأمة الغربية من أمثال أرلوند توينبي Arnold Toynbee (1889-1975)- توماس الأكويني *Thomas Aquinas*(1225- 1274)- فريديريش نتشه Friedrich Nietzsche (1844 - 1900) -هيرمان دي كسرلنج Hermann von Keyserling (1880 – 1946)،لكن ليس بنفس القيمة الكبيرة التي أولاها مالك بن نبي للعقيدة الدينية والأخلاق الإسلامية فهي أسمى من القيمة التي أولاها هؤلاء المفكرين،إذ لمحوا فقط إلى الدور الذي قدمته الفكرة المسيحية في تركيبها [11] (Toyenbee , 1966 , pp161-164)،فيقول مثلا غوستاف لوبان GUSTAVE LOUPAIN" أن الدين روح جامعة قوية التماسك تسير بالأمة إلى العظمة،فإذا انحلت تلك الروح كانت سببا في انحطاط الحضارة،وما تغيرت تلك المبادئ إلا وآذنت بميلاد حضارة جديدة (لوبان،1957،ص ص157-158)".

يظهر تميز العقيدة الدينية والأخلاق الإسلامية عند مالك بن نبي من خلال شهادة حتى الخصوم الغربيين،إذ أن رغم المكائد والتشويه الذي يتعرض له الدين الإسلامي،إلا أنه سوف ينتصر حسب

تنبؤاتهم،ويعللون ذلك على أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يفي بالاحتياجات الروحية النفسية،الأخلاقية والمعرفية للإنسانية مستقبلا، بعدما عجزت المسيحية وغيرها من الأديان عن ذلك حسب رؤية صامويل هانتنجتونSAMUEL HINTINGTON (1927-2008) (هانتنجتون،1999،ص108)،ويرى المفكر الفرنسي موريس بوكايMAURICE BUCAILLE (1920-1998) :" أن المسيحية أصبح لا يقبلها العقل الإنساني وهذه من دواع تنصل المسيحيين من هذا الدين الذي أربك العقل والواقع ويستدل على دلك بقوله:" بأن المسيحيين طالما أدهشتهم التناقضات الجوهرية بين روايات الأناجيل لأن كتاب الأناجيل كانوا شهودا عيان لما كتبوه ...."، وفضلا عن هذا فإن التنكيل الذي عانى منه العلماء في ظل سيطرة من سموهم خدام المسيحية وصار الكلام عن الإلوهية في الوسط العلمي محل سخرية .....، وقد غذى هذا الاتجاه التناقض الفادح بين تعاليم المسيحية واليهودية من جهة واكتشافات العلم الحديث من جهة أخرى، ولهذا أعلنت تلك الديانتان عجزهما عن مواجهة التيار العلمي الجارف الذي هدم (بوكاي، 1990،ص ص 121-142).

كما تظهر إيمانية مالك بن نبي في ما تملكه الأمة الإسلامية من مقومات الفاعلية المتمثلة في مصدريها القرآن والسنة النبوية،وأنهما مازالا نقيان خالصان،ويحملان في طياتهما أسرارا علمية وأبعادا غيبية،كما أنهما قادرين على الإجابة عن الأسئلة التي حيرت وتحير الإنسان في الماضي،الحاضر والمستقبل؛ إلا أنه يرى أن المسلم المعاصر ركن إلى الكسل والعقم العقلي والفكري، والحديث فقط عن مبادئ القرآن الكريم ولكن لا يعيش وفقها ولا يعمل بها،ولا يربط منطق الفكرة بمنطق العمل،وهذا على حد قوله :

"..... فالمسلم لم يتخل مطلقا عن عقيدته، فلقد ظل مؤمنا متدينا،
ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي
فأصبحت جاذبية فردية، وصار الإيمان، إيمان فرد متحلل من صلاته
بوسطه الاجتماعي وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو
يملكها إنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليته وقوتها الإيجابية
وتأثيرها "(نبي م.، 2009 ، ص54)

وكذلك في قوله: "إننا نستطيع أن نحقق نهضة من المنطلقات الدينية،وعلى المجتمعات العربية والإسلامية أن تنقذ نفسها بدينها،ووفق ما قرره الدين لها وليس وفق منطلقات أخرى " (جاسم قاسم،2009، العدد35)،وهذا بعكس الحضارة الغربية التي لا تملك من مقومات الفاعلية ومصادرها ما تملكه الأمة الإسلامية،غير أنه وجد الفاعلية عندهم تتركز في عاملي العقل والفعل،وهي في الحقيقة فكرة ناضجة ورؤية متبصرة .

3 .الرؤية الموضوعية للحضارة عند مالك بن نبي

تظهر بصمة مالك بن نبي في تحديد مدلول وضبط تعريف شامل للحضارة،فنجد الحضارة في التراث الغربي منقسمة إلى مؤيد ومعارض،فعند البعض هي كيانات ترتكز على الجوانب المادية فقط وعند البعض الأخر ترتكز على الجوانب الروحية والأخلاقية فقط،غير أن مالك بن نبي تفطن لضرورة تزاوج

الجانبين في آن واحد،وعليه سوف نحاول عرض أفكار كلتا الجبهتين (المؤيدة والمعارضة) من الفكر الغربي،ثم عرض فكرة الحضارة عند مالك بن نبي بتوليفة العقيدة الدينية والأخلاق الإسلامية .

1-3 **تعريف قدماء الفكر الغربي للحضارة**

نجد في التراث الغربي تعاريف متنوعة حول الحضارة،لكنها من وجهة نظر أحادية،الأمر الذي يدعونا في هذا المقام للتطرق أولا إلى بعض هذه التعاريف وإبراز محتواها ومعالمها كجزئية.

3-1-1- يقول ألبرت شفيتسر Albert Schweitzer (1875–1965) : "جوهر الحضارة يكمن أساسا في إحراز التقدم الروحي والأخلاقي،... وتحت تأثير المعتقدات الأخلاقية تكونت مختلف العلاقات في المجتمع البشري على نحو يسمح للأفراد والشعوب أن تنمو وتتطور.... وإذا أوعز الأساس الأخلاقي تداعت الحضارة (سفيتسر، 1983،ص404)،ويظهر من خلال هذا التعريف أن الفيلسوف ألبرت شفيتسر يدعو لتوقير الإنسانية والحياة قولاً وعملاً،لأن القيم الأخلاقية هي الطريق الحقيقي والعميق التي توصل إلى الحضارة،ولأنها تلعب دائما الدور الإيجابي وتعطي للإنسان القيمة الحقيقية،فالإنسان لا يكون إنسانا إلا بالأخلاق،والأخلاق شرط ضروري لتكوين الحضارة،ولأن تمام الحضارة يتحقق عندما يكون دافع كل وظائف المجتمع هو تحقيق انسجام أفرادها روحيا وبالتالي أخلاقيا .

3-1-2- أسوالد شبنغلر Oswald Spengler(1880-1936)يرى بأن : "الحضارات مهما بلغت قوتها سوف تسقط،وسقوطها يكون نتيجة دخولها مرحلة المدنية،ويقل فيها الاهتمام بالجانب الروحي بعدما حققت الروح كل إمكانياتها " (أسوالد شبنغلر،1964،ص12)،وإشارته للروح هي إشارة إلى الوجود الديني،فإذا سيطر عليها ازدهرت،وإذا انفكت عنه تفككت وانهارت؛والحضارة عنده كائن عضوي،يركب أمواج التاريخ،ويتنقل فيه من مرحلة إلى أخرى،ومن تطور إلى أخر إلى غاية وصوله إلى القمة،لأن لكل حضارة فلسفتها الخاصة [19] (النشار،1998،ص34)،وعندما تدخل الحضارة طور المدنية،تطغى عليها الجوانب المادية على حساب الجانب الروحي،ليبدأ العد التنازلي،وتستنفد من إمكاناتها واحتياطاتها إلى أن تتفشى فيها مظاهر الضعف والانهيار،وهو ما لوح به في كتابه "أفول الغرب انهيار المدنية الأوروبية" .

والظاهر أن هذه الطائفة من المفكرين،أبدت ميلها إلى ربط الحضارة بالمنظومة الروحية الأخلاقية والفلسفية التي تترجم إلى سلوكيات وأفعال،بحيث تسمح بتغيير الواقع الإنساني وشده نحو التحضر والرقي الحضاري،ولكنها في نفس الوقت،أهملت الجوانب المادية التي تعتبر انعكاس مملموس لما وصلت إليه أي حضارة؛غير أن المادية عند الآخرين تشكل الخاصية التصورية التي تقوم على تعظيم قيم المنفعة وحب الذات والعلم،فالأسس المادية تعبر عن التطورات العلمية،وهي الأدوات الرئيسة التي تؤسس لقيام الحضارة وهذا الاتجاه- على سبيل المثال وليس الحصر -يتزعمه كارل ماركس وأتباعه،الذين أعطوا الدور الكبير للفكرة المادية،فالحاجات المادية ووسائل الإنتاج يمثلان المركزان اللذان يحددان العلاقات الاجتماعية الخاصة بحضارة معينة،فنقطة انطلاقها هو توفر الشروط والوسائل المادية الضرورية لتلبية الحاجيات وقوى الإنتاج،دون الحاجة إلى الأسس الأخرى، وعليه جاء تعليق مافيوأرلون MAFFEO-

ARLOUNE على الطرح المادي للحضارة،والتي يعتبرها رديف للمدنية بقوله: " ..... أنها هي الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم،مما يؤدي إلى الرقي الحضاري" (البطانية،2003، ص11)،ومن تم جاءت دعوة الطائفة الفكرية المادية إلى جعل الحضارة تسير وفق سنن جزئية،وعلى تضخيم دور الإنسان والطبيعة اللذان يجلبان اللذة والمنفعة في حجم الإنتاج الكمي وتطور التقنية،وعلى وضع إستراتيجية قوية علميا واقتصاديا،لكنها أهملت الجوانب الدينية والأخلاقية،مما جعل كولن ولسن COLIN WILLSON (1939-2013)يعلق على ذلك بقوله : " كنت أنظر لحضارتنا،نظرتي إلى شيء رخيص تافه،باعتبار أنها تمثل انحطاط لجميع المقاييس العقلية،.....لانعدام الجانب الروحي في حضارتنا (محمد الأمين ، 2012 ، ص76)

.

إذن ومن واقع الرؤيتين،أنتج مالك بن نبي رؤيته التي تمزج بين التصورين التصور الديني الأخلاقي والتصور المادي،وانطلق كما لحظناه في العديد من مؤلفاته كمشكلات المسلم في عالم الاقتصاد -مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي-شروط النهضة-الظاهرة القرآنية،على بناء فكرة الحضارة بتوليفة العقيدة الدينية،أي هي الوحدة الأساسية لضبط مفهومها وتفسير أدوارها في الصيرورة التاريخية وفي أبعادها الوظيفية - البنيوية والتحليلية،فتناولها من زوايا متعددة .

2-3- تعريف مالك بن نبي للحضارة .

3-2-1- **البعد الوظيفي**: إن للحضارة وظيفة كما يقول ابن نبي: "..... لأن الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة مهمة "(نبي، 2000،ص61)،وتتمثل هده الوظيفة في تحريك إرادة الأفراد وتنظيم مهماتهم والقيام بها على أكمل وجه،وهذا من خلال وضع تحت تصرف جميع أفراد المجتمع،الوسائل والظروف الأساسية لتمكينه من القيام بمهماته،مع توفير شرطي الإرادة (الشروط المعنوية) والإمكان (الشروط المادية)،أو هي كما يقول:" هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية،التي تتيح لمجتمع معين،أن يقدّم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطواره (بن نبي،1987،ص45).

3-2-2- **البعد البنيوي**: إن بنية الحضارة كما يقول مالك بن نبي " هي مجموع منسجم من الأشياء والأفكار،بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأماكنها المحددة،ومجموع هذا،لا يمكن أن يتصور على أنه مجرد تكديس،بل كبناء وهندسة،أي تحقيق المبادئ والقيم " (بن نبي،2009،ص84).

الحضارة اذن،بناء ذاتي،يشمل العناصر الثقافية،المعرفية،الدينية،التاريخية ....إلخ،وهي خاصة بشعب معين دون غيره،ولهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال،استيراد المظاهر المادية للحضارة من الخارج لصنع حضارة حية، ولأن في الواقع الحضارة الشيئية،هي مجرد واجهة تمثيلية،تعطي الأهمية فقط لعمليات التكديس وشراء المواد والمنتجات الاستهلاكية والكماليات،ولجعل الأفراد المجتمع يعيشون في الوهم الحضاري بكل تداعياته وتفاصيله،وهو حال العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة،أما الحضارة الحقيقية فهي التي ترتكز على المقومات الأساسية كالتفكر والتخطيط والسياسات المعدة مسبقا،ووفق استراتيجيات مدروسة ومخططة وهدا حال الدول المتطورة .

3-2-3- **البعد التحليلي** : الحضارة عند مالك بن نبي هي تركيبة رياضية ناتجة من خلال اتحاد وتفاعل العناصر الأساسية إنسان+تراب+زمن،ولا يمكن تفكيك الواحدة عن (سعود،2006،ص207).

يعتبر عنصر الإنسان الفاعل المحوري،والذي بدونه لا نستطيع أن نتكلم عن الحضارة،لأنه صاحب الفكرة والجهد المنجز،ثم نضيف إليه عنصر التراب الذي يغطي صنوف الإمكانات المادية، أما عنصر الزمن فيعتبر قيمة معنوية يتعامل معها بالحكمة والدقة، وحتى تكتمل هذه الهندسة لابد من دمج هده العناصر،وجعلها منسجمة مع بعضها البعض،مع التركيز على عملية توجيه الإنسان في حركنه،لأنه عندما يتحرك،يتحرك المجتمع، التاريخ والحضارة ككل،وإذا توقف،توقف معه التاريخ والمجتمع والحضارة معا،وتصبح هده العناصر خامدة وجامدة لا قيمة لها .

إن مشكلة الحضارة في الأساس قائمة على ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان،مشكلة التراب مشكلة الوقت؛وحتى تقام الحضارة،يجب أولا السعي إلى حل المشكلات الثلاث من أساسها،بالإضافة إلى حل مشكلة الحقوق والواجبات،والتي تؤدي إلى القلق والفوضى في المجتمعات والدول الفاشلة لأن مسألة المطالبة بالحقوق دون القيام بالواجبات،أصبح منهجا للتفكير العام،وهذا راجع للحالة التي وصلت إليها الطبيعة النفسية المشوهة للأفراد وتهلهل شبكة العلاقات الاجتماعية وانكسارها.

إن الأصل في التزام بالواجبات والحصول على الحقوق،من المسائل الأخلاقية التي تبرز التعاون والتوافق بين الفرد والدولة،بطريقة سلسة ومرنة،لأن المجتمعات والدول التي ازدهرت وتفوقت في حركية التاريخ، هي المجتمعات والدول التي استطاعت أن تملك رصيدا كبيرا من القيام بواجباتها، أليس في الأديان السماوية دعوات لأداء الواجبات،ومنها دعوة القرآن الكريم في العديد من الآيات للقيام بالواجبات سواء أفرادا أو جماعات،بحيث تكون بإتقان وعلى أكمل وجه استنادا لقوله تعالى:" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " (سورة التوبة الآية 105) - وهذه الآية على سبيل الذكر وليس الحصر -.

4 . دورالعقيدة الدينية- القيم الأخلاقية الإسلامية في العمل السياسي

ترتبط المقولة السياسية عند مالك بن نبي، في أنها أحد جزئيات المقولة الحضارية، وما الشكل السياسي لها إلا انعكاس للواقع الحضاري،والرابط بينهما هما العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية؛ وعليه نحاول في هدا المقام توضيح دور العقيدة الدينية والبعد القيمي الأخلاقي في العمل السياسي والحياة السياسية عامة .

يقول مالك بن نبي: "إن السياسة التي لا تقوم على الأخلاق ما هي سوى خراب " (بن نبي،2002،ص69)، فإذا استطاعت أن تهيمن على حياة الفرد وحياة الأمة -الدولة،فإنها تبث في معتنقيها حاكما ومحكوما الأخلاق الفاضلة،فيعم الأمن والأمان والاستقرار والحياة الكريمة .

إن العلاقة الطيبة التي تجمع بين السياسة والدين-الأخلاق،من شأنها خلق أرضية توافقية بين الدولة والشعب في العمل من أجل نهضة الأمة،لأنها تقوم على توجيه طاقتها ووسائلها وإمكاناتها للمصلحة الوطنية،مما يجعل الصلة قوية مع الوسط الاجتماعي ككل،ويحقق لها الإجماع التي تطمح

إليه أي دولة،وعن هدا المشهد،أعطى مالك بن نبي مثالا من خلال قول الرئيس الكوبي "**فيدال كاسترو Castro Fidel**،ليظهر الدور الأساسي للبعد القيمي الأخلاقي في السياسة:" إن المصلحة الوطنية والسياسة لا تقوم على الحسابات،وإنما تقوم على المبدأ الأخلاقي" (بن نبي،2002،ص22)،وانطلاقا من دعامتي العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية في العمل السياسي،يرشدنا مالك بن نبي إلى التمييز بين المصطلحيين مهيمنين على الفعل السياسي في العالم العربي والإسلامي،وهما السياسة والبوليتيك فماذا يقصد بهما ؟ .

"السياسة هي محاولة تأمل في الصورة المثلى لخدمة الشعب" (بن نبي،2002،ص98)

"وهي عمل تقوم به الدولة منظم ومحدد في الميثاق الوطني والدستور،ووقايته من التخريب " (بن نبي،2002،ص82)، نستشف من هذين التعريفين أهم العناصر المكونة لها :

- أن الدولة كيان مرتبط بالأعمال التي تقدمها .
- أن الدولة لها وجودها القانوني محدد في الميثاق الوطني والدستور .
- حماية الدولة من التخريب.

وعلى النقيض يظهر مصطلح البوليتيك،وهو من المفاهيم المستوردة من المفاهيم السياسية الغربية ومأخوذ من اللسان الدارج للجزائريين، ويقصد به الصورة المزيفة للسياسة،وتعبيرا عن الفعل السياسي الاستبدادي واللاأخلاقي،وعليه يقول:" ...عندما يرتفع الصخب في السوق وتكثر حركات اليد واللسان وعندما لا يسمع صوت الشعب (بن نبي،2002،ص190)،وهذا ما يعبر عن الصورة الحقيقية التي يعيشها العالم العربي الإسلامي عامة والجزائر خاصة.

وإذا حملنا رؤية مالك بن نبي فكيف لنا أن نسمي ما تمارسه السلطة الحاكمة منذ استقلال إلى وقتنا الحالي،أهي السياسة أم البوليتيك؟.

يعيش غالبية الشعب الجزائري،ممن هم خارج دواليب السلطة،والمال والأعمال واقعا مأساويا نتيجة الصدام الحاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية،والذي يعبر عن واقع وطموح المشروع للشعب،والمشروع المطروح لسلطة الحاكمة،والذي يعبر عن واقع وطموح الطبقة السياسية وحواشيها فقط،بالإضافة إلى الطغيان والعنف والسفه السياسي للحفاظ على وجودها،وليس القيام بدورها الأساسي التي تأسست من أجله-خدمة المصلحة العامة-،وهو ما زاد في تعميق الهوة والقطيعة بين الوسطيين،وجعل الدولة مريضة وفي حالة وهن وشلل دائم،وأفراد الشعب في حالة تدمر وسخط وعنف وانعدام الثقة .....إلخ،وهذا ما عبر عنه سابقا مالك بن نبي بقوله : " فإن القطيعة المعنوية سوف تعزل الدولة عن الوطن وتشل الطاقات الاجتماعية"(بن نبي،بين الرشادوالتيه،ص83)،فلم يعد خطاب السلطة قادر على إقناع المواطنين،للاحتكام إلى المؤسسات والأجهزة الإدارية العمومية في طرح مطالبهم والتكفل بها،لأن الرفض التي تعبر عنه الطبقة الشعبية،هو الرفض للأشخاص وسياساتهم الفاشلة التي مست جميع القطاعات والمستويات،سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الدولي، وهو ما عبر عن أزمة حقيقية داخل النسق السياسي،خلف انفجارا شعبيا خلال الفترتين الزمنيتين : **انتفاضة أكتوبر 1988 - حراك فيفري 2019**.

ولدت الهبّتين بعد سنين من القيود،وهَيمنة السلطة الحاكمة على ثروات البلاد دون التوزيع العادل ودون المساهمة في تقديم البدائل التنموية،والحَكَم باسم "شرعيّات تاريخيّة وهمية"؛فكان أكتوبر انتفاضة ضدّ بؤس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمطالبة بالإصلاحات السياسية،أما حراك فبراير،فكان ضدّ الإذلال والقهْر السياسي والاقتصادي،والمطالبة بالحقوق الأساسية،الحرية،العدالة والمساواة،والديموقراطية الحقيقية،والدعوة إلى "**استقلال جديد**"؛ولهذا أصبحنا نتكلم حسب رؤية مالك بن نبي عن السلوك والفعل السياسي للطبقة الحاكمة التي تمارس ما يسمى بالبوليتيك،لأن خطاباتها وتكتيكاتها مشبعة بالأوهام والمراوغة،بالإضافة إلى فقدها للأطر الشرعية والعلمية والأخلاقية في تعاملاتها الأمر الذي أدخل الدولة في دوامة من التخلف،الفقر،البطالة،الأمراض الاجتماعية والمهنية والأزمات الاقتصادية (إقتصاد هش)،الفروق والهوة الطبقية التي تزداد يوم بعد يوم،والتي ولدت الضغينة والكراهية بين أفراد المجتمع الواحد؛بالإضافة إلى وجود شرخ عميق -لأسباب متعددة- تأصل في العلاقة بين الحاكم والمحكوم،وهو مازاد في انعدام الثقة بين طرفي العلاقة،كالترفع السياسي،الفساد الأخلاقي والمالي اللامساواة،اللاعدل،وخدمة مصالحهم الشخصية،وتطاير الأهداف التي لا تقود إلى تحقيق التطلعات المشتركة،فانجر عن ذلك السلوك السلبي للمواطن (المواطن السيئ)، والذي أصبح بمثابة عامل هدم، وبالمقابل تقوم الدولة بدور البوليس الذي يقمع كل تحرك أو نشاط يقوم به الموطنون،وسيطرة المشهد الاستبدادي واللااستقرار على جميع الأصعدة.

لو فكرت السلطة الحاكمة والمواطنين معا في إعادة صياغة سياسات ناجعة،تعتمد على صانعي الفكر وأعمدة البحث العلمي في تحديد برامجها واستراتيجياتها،وترتكز على الدراسات الفكرية والعلمية الدقيقة،وعلى توحيد المصالح والأهداف،والإرادة الصادقة التي تربط وتجمع ثنائية القطب بعضها ببعض(الدولة- المواطنين)،والدعم المتبادل على جميع الأصعدة الاجتماعية،الاقتصادية والثقافية،لاستطاعت الوصول إلى تحقيق البناء الاجتماعي،السياسي،الاقتصادي والثقافي" الدولاتي"،يقوى باجتماع جميع المقومات من الفن والعلم والعقل،بالإضافة إلى الجانب الروحي(الدين) والأخلاق الإسلامية كقيمة في حياة الإنسان والمجتمع وتساعدانهما على التقدم والتطور الحضاري،فما هو دور الدين في حياة الإنسان والمجتمع ؟ .

1-4-دور الدين والأخلاق الإسلامية كقيمة في حياة الإنسان

يعتبر الرصيد الديني الروحي،العنصر الأساسي الذي يساعد الإنسان على إقامة التوازن بين الكم والكيف والروح والمادة وتوجيه فعله ووقته من أجل تحقيق الصالح العام.

يقوم الدين بوظيفة تربوية هامة في حياة الفرد،فيعمل على إكسابه الصفات والسلوكيات الأخلاقية والأهداف النبيلة التي يسير عليها في مشواره،ويقضي على النزعة الفردية المقيتة وهذا لكل من الفرد والدولة،ففي المجال السياسي يوجه ضمير الحاكم والنخبة-القيادة السياسية والإدارية للعمل من أجل خدمة المصلحة العامة،ولا يتخذان من مركزهما مطية للوصول إلى تحقيق مصالحهم الضيقة

والعاجلة،وبالمقابل يعمل على زرع في نفسية الفرد قيمة للوقت وللتراب والمساهمة في بناء دولته والمشاركة في العمل السياسي عن اقتناع والرضا.

إذن العمل السياسي القائم على احترام تعاليم الدين،والمبادئ الأخلاقية،يساهم في بناء نفسية الإنسان الجديدة مثل ما نوها إليها مالك بن نبي في قوله : ".....هدا النوع هو في جوهره عملية التصفية التي تصفي الإنسان حتى يصبح الإنسان في صورة المواطن.... [34] " (بن نبي،2000،ص140) .

4-4 - دور الدين والأخلاق الإسلامية كقيمة اجتماعية

يشكل الدين والأخلاق الإسلامية القيمة الاجتماعية العليا،والدعامتان الأساسيتان التي تقودان إلى أي مشروع تغييري ناشط وفعال،وإذ يساعدان على صياغة الشخصية الحضارية،وجعلها تنتقل من الحالة الروحية إلى الحالة التطبيقية السلوكية،وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية المتوازنة، كما يوجه الفكر ويروض الطاقة الحيوية للإنسان نحو غايات وأفاق سامية وراقية،والدين قادر على التغيير، فعلى حد قول مالك بن نبي ".... تأثير الدين من خلال تركيبة العبقرية الإنسانية والشروط الأولية للحضارة ..... ووتتبع دلك الاطراد بين الفرد والعقيدة الدينية التي تبعث الحركة والنشاط" (بن نبي،1986،ص67).

كما نلاحظ أن جميع الأديان السماوية عامة، والدين الإسلامي خاصة،إلى لأخوة،المحبة الرحمة،والسلام.....إلخ،وهي الصفات التي تحمل المجتمع على الاستمرار والبقاء،لأنه الباعث للإشعاع الإيماني الذي يقوي شبكة العلاقات الاجتماعية،ويقطع الطريق أمام تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية،ويجعلها تسير نحو حركة تطور اجتماعي واحد،ونحو حدث تاريخي يطلق عليه الحضارة .

الخاتمة

في الأخير حاولنا إبراز في هدا المقال أهمية الكبيرة التي يحظى بها المنظور المتميز لمالك بن نبي، بحيث لم يقتصر على إعطاء أفكار نظرية فقط،وإنما حاول أن يلامس المشكلات الحضارية من أعماقها التي تفرض نفسها على العالم الإسلامي من الخليج إلى المحيط،من خلال إعطاء وصفة شافية ومضبوطة، والمتمثلة في العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية،باعتبارهما أهم مركبات الأساسية للولوج إلى الحضارة؛كما دافع عن الإسلام-بنظرة العالم-،لأنه يرى أن الإسلام قادر على تحريك العقول وتفعيل السلوكيات والأفعال إيجابيا،وخاصة عندما يدعمها منطق العلم ومنطق العمل سويا،لأنهما يحملان أفاق تطورية ومنهاجا للإنسان المتوازن في أي زمان ومكان،ويخرجانه من دوامة التخلف والسكون إلى الحركية،وإنتاج الأفكار الحية والناضجة التي تدفعه دفعا نحو التقدم والتطور والحياة الراقية،من الناحية المعنوية والمادية، وهدا ما أقره حتى أعداء الإسلام أمثال صامويل هانتنجتون وموريس بوكاي اللذان أسلما فيما بعد .

كما توصل مالك بن نبي،إلى ترك بصمته المعرفية التي تتميز بالأصالة والعمق في التفسير الحضاري للشعوب،إذ جعل محورها الفكرة الدينية،التي هي أساس أي تغيير حضاري ليس فقط بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية،وإنما تشمل جميع الحضارات العالمية السابقة أو اللاحقة،وكان أصيلا في تحليلاته العامة منها والجزئية التي تستند على ثلاث وحدات : الإنسان- التراب- الزمن، التي تعتبر رأس مال

الأمة،ووحدة الإنسان هي الحجر الأساس،الذي يقف وراء بناء الهدف الأكبر وللوصول إلى ذلك،لابد من ربط فكره ونفسيته وتطلعاته بعجلة التاريخ المضيء،والذي يتطلب توفر الركائز الفكرية والأخلاقية والمادية لتأثير والتغيير الإيجابي في العوالم الثلاثة (عالم الأشخاص-عالم الأفكار - عالم الأشياء)،بحيث تتوافق في عمل مشترك،يهدف إلى صناعة الإنسان المستقبلي أو ما يسمّيه ابن نبي الإنسان الجديد.

العقيدة الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية،الدعامتان الأساسيتان التي تقود إلى المشروع التغييري الناجح،لأن الشكل السياسي لأي دولة،هو انعكاس لواقعها الحضاري،فكلما كان التوافق والانسجام بين الدولة والشعب وتغليب المصلحة الوطنية،كلما تحقق الاستقرار والتطور في ظل تنزيه مقاصد المهمة السياسية،باعتبارها النشاط القائم على خدمة الشعب (السياسيات الناجحة)، وهو أمارة على التوافق الأخلاقي الذي يقود الشعب والدولة إلى طريق تحقيق النهضة؛ أما إذا كانت النزعة السياسيوية (البوليتيك)،تلعب على نغم اللاعدل واللامساواة وانعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم واستشراء الفساد المالي والأخلاقي في الأوساط العليا والدنيا،وزيادة المطالبة بالحقوق دون القيام بالواجبات(السياسات الفاشلة)،كلما كان أمارة على الفشل والفوضى،وهو الذي يقود الدولة والشعب إلى نفق مظلم.

. المراجع

القرآن الكريم

المؤلفات باللغة العربية

- أسوالدشبنغلر،(1964)،تدهورالحضارة الغربية،(ترجمة أحمد الشيباني)،منشورات دارمكتبة الحياة،بيروت.

-ألبرت،شفيتسر،(1983)،فلسفةالحضارة،(ترجمةعبدالرحمن بدوي)،دارالأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

- الطاهر،سعود،(2006)،التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي،دار الهادي،بيروت.

-ب فالي،لامي،(2004)،البحث في الإتصال عناصر منهجية،(ترجمة ميلود سفاري)،مخبر علم الإجتماع واتصال، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة.

-صامويل هاتنجتون،(1999)،صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي،ط1،(ترجمة طلعت الشايب،

-عبد القادر،بوعرفة،(2006)،الحضارة ومكر التاريخ تأملات في فكر مالك بن نبي،ط1،رياض العلوم،الجزائر.

- عبد الله،محمد الأمين،(2012)، الرؤية الإسلامية والمسألة الحضارية دراسة مقارنة،ط1،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،الدوحة.

- غوستاف،لوبان،(1957)،السنن النفسية لتطور الأمم،ط2،(ترجمة عادل زعيتر)،دار المعارف،مصر.

- مالك بن نبي،(1986)،شروط النهضة،(ترجمة عمر كامل مسقاوي،عبد الصبور شاهين)،دار الفكر،دمشق.

- مالك بن نبي،(2009)،وجهة العالم الإسلامي،دار الفكر،دمشق.

- مالك، بن نبي، (2009)،فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ،ط9،دار الفكر،سوريا.

- مالك،بن نبي،(1986)،ميلاد المجتمع،ط3،(ترجمةعبدالصبورشاهين)،دارالفكر،دمشق.

- مالك،بن نبي،(1987)،شروط النهضة،دار الفكر،دمشق.

- مالك،بن نبي،(2002)، بين الرشاد والتيه،ط1،دار الفكر المعاصر،لبنان.

مالك بن نبي، مشكلات المسلم في عالم الإقتصاد .ط3 دمشق:دار الفكر

- محمد ضيف الله،البطانية، (2003)،الحضارة الإسلامية،ط1، دار الفرقان، عمان.

- محمد عبيدات، وآخرون،(1999)،منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات،ط2،دار الطباعة للنشر،الأردن.

- مصطفى سامي،النشار،(1998)،فلاسفة أيقظوا العالم،ط3،دارقباء،القاهرة.

- موريس بوكاي،(1990)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، (ترجمة حسن خالد)، المكتب الإسلامي، بيروت .

المؤلفات باللغة الأجنبية

and habits the challange of ourtime,university Arnold,Toyenbee,(1966),change-press,london.

المقالات

- نقيب،عمر،(2015)،"منظورمالك بن نبي لتناول المشكلة التربوية في العالم الإسلامي"،مجلة نقد وتنوير،(العدد الأول)،273؛

- ياسر جاسم قاسم،(2009)،"مشكلات الحضارة وتأسيسات مالك بن نبي فيها"،مجلة ثقافية فصلية،العدد35؛